المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلّد 8، العدد 3، 2015

إعادة إنتاج الهوية الإثنية في المجتمع الأردني: تطبيق نظرية التشكيل

*محمد عبد الكريم الحوراني**

ملخّص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عما إذا كانت الأقليات الإثنية في المجتمع الأردني تعمل على إعادة إنتاج هويتها الإثنية وتحافظ عليها، وذلك من خلال التركيز على خمس آليات لإعادة إنتاج الهوية الإثنية مشتقة من نظرية التشكيل لدى أنتوني جدنز وهي: التنشئة الإثنية، وإدراك المرجعية الإثنية، والعلاقات الإثنية، ومحفزات الفاعل الإثني، واللغة الاثنية. لقد اشتملت عينة الدراسة على (496) شاباً وشابة تقع أعمارهم بين (20-25) عاماً، وينتمون إلى خمس أقليات إثنية هي: الشركس والشيشان، والأرمن، والدروز، والأكراد.

أظهرت النتائج أن الأقليات الإثنية في المجتمع الأردني لا تزال تعيد إنتاج هويتها على نحو واضح، ولكن بعض آليات إعادة الإنتاج، وبشكل خاص، اللغة والعلاقات الاجتماعية قد تراجعت بالمقارنة مع الآليات الأخرى. وقد أظهرت النتائج أن هناك فروقاً بسيطة بين الأقليات في إعادة إنتاج الهوية الإثنية، حيث كانت أعلاها (الأقلية الدرزية) ومن ثم على التوالي، الأرمن، والشركس، والشيشان، والأكراد.

الكلمات الدالة : الأقلية الإثنية، الهوية الإثنية، إعادة الإنتاج.

المقدمة

يكشف السياق التاريخي-الاجتماعي للمجتمع الأردني عن حضور لا يمكن تجاوزه للأقليات الإثنية في التركيبة المجتمعية والوجود الاجتماعي بوجه عام، وهذا الحضور الاثني المؤلف من شركس، وشيشان، وأكراد، وتركمان، ودروز، وأرمن، يمتد معظمه إلى مرحلة ما قبل تأسيس الدولة الأردنية عام 1921. وضمن هذا الامتداد التاريخي العميق خاضت الاثنيات صراعات، وبنت تحالفات، وتفاعلت مع البوادر الأولى لالتزامات المواطنة والهوية المجتمعية، لكنها بالمقابل صانت هويتها الإثنية وعملت على إعادة إنتاجها عبر الزمان والمكان.

إن عملية إعادة إنتاج الهوية الإثنية تمثل "استراتيجية" من الناحيتين الرمزية والمادية؛ حيث إن تأطير الجماعة لهويتها وإبرازها يحقق لها التضامن، والمكانة الاجتماعية والاعتراف الاجتماعي، وكذلك يحقق لها عوائد سياسية واقتصادية. إن جميع الأقليات الإثنية تدرك تماماً بأن ذوبانها في المجتمع العام وفقدانها لهويتها يوازي تشتتها وفقدانها لقيمتها الاعتبارية والعملية، ولذلك ثمة نضال ووعي ورؤية مستقبلية في عملية الحفاظ على الهوية الإثنية.

ويلاحظ بيرنال ونايت Bernal and Night أن بقاء الهوية الإثنية مرتبط بعملية التنشئة الإثنية Ethnic Socialization التي تتضمن دروساً ثقافية يتلقاها الفرد عن طريق الأهل والأصدقاء، وأعضاء المجتمع الإثني، وكذلك مجابهة عملية التثاقف Acculturation، أي تمثل أعضاء المجتمع الاثني للثقافة السائدة، وهذه العملية تحدث تغيراً ثقافياً يؤثر في الهوية الإثنية والشعور بالانتماء، وجملة المشاعر إزاء الجماعة الاثنية. (Bernal and Night:1993)

* أستاذ مشارك، قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

تاريخ استلام البحث 2014/7/9 وتاريخ قبوله 2015/3/5.

لطلب الملحق (الاستبانة) يرجى مخاطبة الباحث مباشرة على بريده الالكتروني

لا شك أن الجهود المبذولة في عملية إعادة إنتاج الهوية الإثنية تتزايد عندما تشعر الأقليات الإثنية بالتهديد الخارجي، سواء عن طريق تحيزات الدولة ضدها أم عن طريق الجماعات التي تشاركها الوجود الاجتماعي ذاته، وكذلك كلما كان المجتمع أكثر انغلاقا ويرتكز على تقسيمات وبنى جماعية تعبر عن نفسها بموجب الوعي المتعلق بالهوية اللغوية والدينية، والثقافية، والقومية. وعلى هذا الأساس، يميل فريق من العلماء إلى التأكيد على أن النمو البيروقراطي والمؤسسي وتبني الناس نظرة أكثر عقلانية وفردية للحياة من شأنه أن يؤدي إلى اضمحلال الانتماءات الإثنية البدائية. (Burgess:1978)

وبالقياس على ما تقدم، فإن الأقليات الإثنية في المجتمع الأردني لم تشهد حالة من انحياز الدولة ضدها، وبعد تأسيس الدولة لم تعد الأقليات الإثنية تشعر بالتهديد الذي كانت تشعر به قبل تأسيس الدولة في صراعها مع القبائل. علاوة على ذلك، فإن المجتمع الأردني شهد تحولات عميقة في بنيته وتركيبته الاجتماعية وتنوعها، وانفتاحه، وتقدمه منذ تأسيس الدولة وحتى الوقت الراهن، وقد واكبت معظم الأقليات الإثنية جميع التحولات وتعرضت لذات القوى التغييرية التي تعرض لها المجتمع الأردني عبر تاريخه. ومن هنا، تتحدد **مشكلة الدراسة** الراهنة بالتركيز على مستوى حضور الهوية الإثنية لدى جيل الشباب (20–25 عام) من الأقليات الإثنية المختلفة حيث يمثل الشباب ضمن الأقلية الإثنية انعكاساً صريحاً للجهود المبذولة في إعادة إنتاج الهوية الإثنية والحفاظ عليها، ومن ثم تركز الدراسة على أبرز الآليات التي تعمل الأقلية الإثنية من خلالها على إعادة إنتاج هويتها وهي: أولاً، تكريس إدراك المرجعية الإثنية، ثانياً: التنشئة الإثنية، ثالثاً: العلاقات الإثنية، رابعاً: محفزات الفاعل الإثني، خامساً: استخدام اللغة الإثنية وهكذا، تحاول الدراسة في ضوء تطلعاتها المتواضعة الإجابة على التساؤلات **الوصفية** الآتية: **أولاً:** هل ما تزال الأقليات في المجتمع الأردني تعيد إنتاج هويتها الإثنية وتحافظ عليها؟ **ثانياً:** ما الآليات الأكثر ضعفاً في إعادة إنتاج الهوية الاثنية؟ **ثالثًا:** هل هناك فروقات بين الأقليات في مستوى إعادة إنتاج الهوية الاثنية؟

إن اندماج الأقلية الإثنية في الثقافة السائدة للمجتمع، يمكن أن يختزل هويتها إلى نوع من الهوية الرمزية Symbolic "Identity"، أو إلى شكل من الارتباط اللاوظيفي vestigial Attachment. (Alba: 1990). أي أن تكيف الإثنية يحولها إلى نسب أو أصل مجرد من الهوية الثقافية المشتركة. وكما يلاحظ ملتون جوردن Gordon: إن الاختلافات البين إثنية تنطوي على عنصرين ذاتي وموضوعي، فالعنصر الموضوعي هو التباين في واحدة أو أكثر من الخصائص التالية: اللغة، والثقافة، والدين، والسمات الفيزيقية، أما العنصر الذاتي فهو إدراك الجماعة وفق معاييرها لهذا الاختلاف مما يدعم الانتماء للجماعة في مواجهة الجماعات الأخرى. (Cordon: 1964)

ومن هذا المنطلق تستمد الدراسة الراهنة **أهميتها** من خلال محاولتها الكشف عن مدى استمرارية الهوية الإثنية لدى الجيل الأخير من الأقليات الإثنية في المجتمع الأردني حيث يتحدد وفق ذلك، ما يريد أبناء الأقليات أن يكونوا عليه في مجتمع مغاير لمجتمعهم الأصل ثقافياً واجتماعياً. كما تأتي هذه الدراسة بالوقت الذي يعتبر فيه السؤال عن إعادة إنتاج الهوية الإثنية في الأردن عالقاً نظراً لندرة البحث العلمي والأكاديمي حول الأقليات الإثنية في المجتمع الأردني، حيث توجد دراسات وصفية تعد على أصابع اليد أجراها أبناء الأقليات أنفسهم. وعلاوة على ما تقدم فإن الدراسة الراهنة تستوحي مقاربتها للهوية الإثنية من نظرية التشكيل، مما يظهر الهوية الإثنية كممارسة وعملية تتدفق عبر الزمان والمكان، وليس كبينة. ويكمن ثراء هذا المنظور في إظهاره الهوية الإثنية كحالة تفاعل مستمرة بين الوعي والمكونات الثقافية والتاريخية، الأمر الذي يجعل من الهوية الإثنية خياراً إستراتيجياً في حالة تدفق وجريان مستمر.

مفاهيم الدراسة

الجماعة الإثنية: جماعة مرجعية تميز ذاتها عن الجماعات الأخرى من خلال المرجعية التاريخية المشتركة، ومعايير السلوك، والهوية الجماعية، وقد تقترن بالخصائص الفيزيقية. (Smith: 1991)

الهوية الاثنية: مجموعة الأفكار التي يمتلكها المرء حول عضوية جماعته الإثنية بأبعادها ومكوناتها المختلفة، مثل التماهي مع الجماعة، والمعرفة عن تقاليدها، وعاداتها،

وأعرافها وقيمها وملكياتها، ومشاعرها، وتاريخها. (Brenal and Night: 1993, phinney et al.: 1994)

إعادة إنتاج الهوية الاثنية: العملية التي تحاول الجماعة الإثنية بمقتضاها الحفاظ على هويتها الإثنية وصيانتها، وتتضمن مجموعة من الآليات المشتقة من نظرية التشكيل وهي:

التنشئة الإثنية : عملية ربط الفرد بهويته الإثنية عن طريق إكسابه البناء الرمزي للجماعة الإثنية، وممارساتها. مثل تعلم الثقافة واللغة والمشاركة في المناسبات.

إدراك المرجعية الاثنية: إعلان الفرد لعضويته في الجماعة الإثنية واستدعائه لدورها في حياته ولمميزاتها. مثل دور الجماعة الإثنية في تنظيم علاقات المرء لعلاقاتها وإبراز اثنيته والفخر بها.

العلاقات الاثنية: شبكة التفاعلات المؤسسة والمكثفة مع الأصدقاء والأقارب من داخل الجماعة الإثنية، وتشمل كذلك الزواج من داخل الجماعة الإثنية والإقامة في مكان تواجدها.

محفزات الفاعل الاثني: الحوافز الذاتية والتدخلات الإرادية من قبل أعضاء الجماعة الإثنية لتكريس انتمائهم لهويتهم الإثنية مثل الحرص على المشاركة في شؤون الجماعة الإثنية والاهتمام بها والتضحية من أجلها.

اللغة الاثنية: القدرة على التواصل بلغة الجماعة الإثنية التي تحمل رموز هويتها ودلالتها وتجسد ثقافتها وطرق تفكيرها. وتتجلى هذه المقدرة بالتحدث، والقراءة، والكتابة بلغة الإثنية والفخر بها والارتياح لها.

التنوع الاثني في المجتمع الأردني:

يعود وجود معظم الأقليات الإثنية في الأردن إلى مرحلة ما قبل تأسيس الدولة والمجتمع عام (1921)، وهذا العمق الوجودي التاريخي له دلالته الاجتماعية والسياسية المتعلقة بالحفاظ على الهوية، والتضامن، والتحصين الذاتي، وطبيعة الارتباط بالمكونات الاجتماعية للمجتمع، وطبيعة الارتباط بالدولة عبر تاريخها.

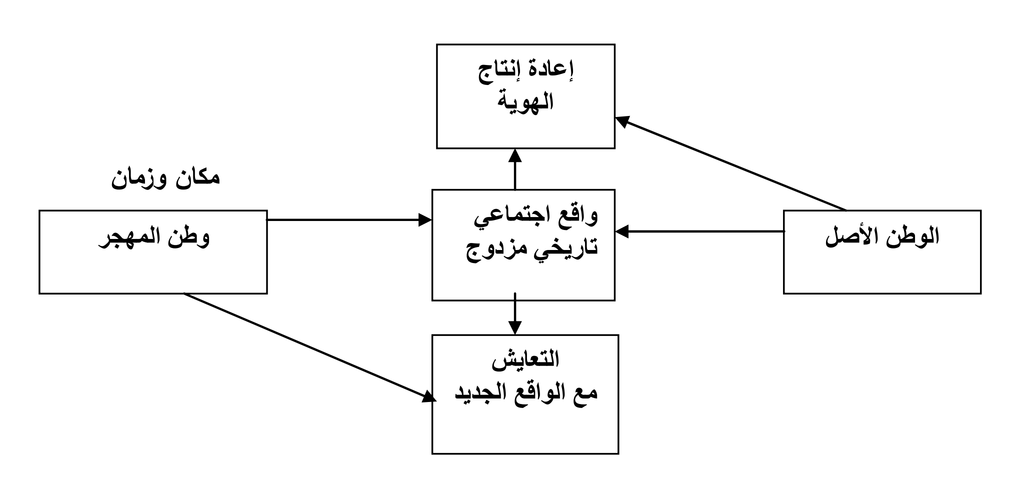
كانت منطقة شرقي الأردن أرض نزاع متجدد بين القبائل البدوية حول الكلأ والماء وكانت القبائل البدوية تحيل المناطق الزراعية الخصبة إلى مراع لقطعانها دافعة الفلاحين إلى هجرة قراهم مما سبب حالة من التقهقر العام للريف، وقد اضطر سكان القرى المستقرة إلى دفع الضريبة للبدو مقابل الحماية. ومن جهة أخرى، شكلت القبائل مصدر تهديد لطريق الحج الشامي والتجارة مع الجزيرة العربية مما دعى الدولة العثمانية إلى التعاقد مع بعض القبائل لحماية الطريق، ومن ثم تشكيل حالة تنافسية بين القبائل لحماية الطريق والحصول على العوائد. ومن أجل مواجهة القبائل البدوية شجعت السلطات العثمانية الكثير من أبناء القوميات غير العربية على الهجرة إلى شرقي الأردن كالشراكسة والشيشان والداغستان والتركمان والأكراد والأرمن والنور فضلاً عن المغاربة والمصريين ومنحوا أراض لاستيطانها وإعمارها في عمان والسلط ووادي السير وناعور وياجوز والرصيفة وصويلح والزرقاء. (أبو الشعر: 2001: 182–189، جويسر: دت)

إن طبيعة الظرف التاريخي الذي قدمت فيه الأَقليات الإثنية إلى الأردن فرضت عليها التفاعل مع القبائل كتكوين قبلي متضامن إزاء التهديد الخارجي المستمر. لقد شكلت القبائل البدوية جماعات مرجعية سلبية بالنسبة للأقليات الإثنية، مما جعلها تؤطر حدود هويتها، وتدرك ذاتها الإثنية أكثر فأكثر، وتكرس كل جهودها لصيانة هويتها وتضامنها.

إن عوائد التضامن وتأطير الهوية بدت واضحة في التصدي للغارات البدوية، والحفاظ على هيبة الجماعة وممتلكاتها. وهذا يعني أن إعادة إنتاج الهوية الإثنية كانت تمثل شرطاً ضرورياً للتعايش والاستمرار عبر المكان والزمان قبل تأسيس الدولة.

ظل الجيل الأول من الأقليات الإثنية ممزق بين نوعين من الوجود الاجتماعي الوجود الاجتماعي الراهن، الذي هو الظرف الواقعي والحقيقي، ولكنه بذات الوقت المختلف والمغاير، والوجود الماضي (الوطن الأصل) الذي تشيده الذاكرة التاريخية والوجدانية. إن هذه الازدواجية فرضت على أعضاء الإثنية أن يعيشوا الواقع ولا يندمجوا فيه، وأن يعيشوا الماضي على مستوى الذاكرة التاريخية والوجدانية ولا يتماهوا معه أو ينغلقوا عليه. وقد ترتب على هذه الحالة انقسام واضح بين الممارسات الضرورية من أجل التعايش والبقاء في الواقع الجديد، والممارسات الضرورية لإدامة الأمن الوجودي عن طريق إعادة إنتاج الماضي والحفاظ على الهوية الإثنية وتراث الإثنية وتاريخها.

إن هذه الحقيقة التاريخية، تظهر بوضوح الآلية التي تتكرس من خلالها الهوية الإثنية لدى الجماعات الإثنية، وهي "إدراك" الاختلاف مع الآخرين وعنهم. بحيث تفضي هذه العملية الإدراكية التي تتوسط العلاقات والتفاعلات إلى تشكيل الحدود الرمزية symbolic Boundaries للجماعة الإثنية، أي التصنيفات المفاهيمية التي يشكلها الفاعلون الاجتماعيون حول الموضوعات والناس والممارسات والزمان والمكان. إن هذه الحدود الرمزية تفصل الناس إلى جماعات وتولد مشاعر التشابه والعضوية في الجماعة الاثنية. (Lamont and molnar: 2002)



شكل (1)
ازدواجية الوجود الاجتماعي لدى الجماعة الإثنية

ومن أهم الأَقليات الإثنية في المجتمع الأردني الشركس، وقد هاجروا من شمال القوقاز نتيجة الحرب مع روسيا القيصرية، وقد دخل أَول فوج من المهاجرين الشركس إلى عمان في عام 1878 وهم من قبيلة الشابسوغ ثم توالت القبائل الشركسية الأُخرى وحطت الرحال فيها وهي القبرطاي، والأبزاخ، والبزادوغ، وذلك بعد عشرة أَعوام تقريباً. (ناشخو:1995، حغندوقة: 1985)

ويقدر عدد الشراكسة عند دخولهم شرقي الأردن في العهد العثماني بين 17-15 ألفاً وقدر عددهم حتى عام 2009 بين 150-130 ألفاً (مامسر: ج2: 2009) ويشير تقرير (Fanack: 2014) إلى أن عدد الشركس في الأردن يقدر الآن بـ (190.000)، ومنذ تأسيس الدولة احتل الشركس في الأردن مكانة هامة في الدولة والمجتمع، فيشير إسحق ناتخو إلى أن أَكثر من (60) شخصية شركسية إحتلوا مناصب سياسية وإدارية عليا في الدولة الأردنية (ناتخو: 2009) بينما يؤكد مامسر أن مئات الشركس تولوا مناصب إدارية وسياسية وأمنية، حيث تألفت وحدة الحرس الملكي الخاص من (40) فارساً شركسياً، وأكثر من (100) شركسي شغلوا مناصب أمنية برتبة فريق أول ولواء وعميد. (مامسر: ج 2 :2009)

وبالرغم من الاعتقاد السائد بأن الشركس هم الأَقلية الإثنية الأَكثر حفاظاً على هويتها. إلا أن بعض الاستطلاعات تشير إلى أن 25% من العادات الشركسية تمارس دائماً، و30% في المناسبات. و45% لم تعد تمارس. وبشكل خاص العادات المتعلقة بمراسم الزواج والمضافات وتربية الأَطفال والحفاظ على التراث الشركسي والأَناشيد والأَدوات المنزلية القديمة. (مامسر: ج5: 2009)

ومن الأَقليات التي هاجرت من القوقاز، الشيشان، الذين يصفهم البعض بأَنهم أبناء عمومة للشركس. ويذكر البشايرة أنهم جاءوا إلى الأردن عام 1903 (البشايرة: 1999) بينما يذكر تقرير ((Fanack: 2014) أنهم وصلوا إلى الأردن عام

1907، استقر الشيشان في الزرقاء والأزرق والسخنة وصويلح، وبلغ عددهم حتى عام 1996 وفق الدراسة التي اجراها البشايرة في الفترة الواقعة بين 1/6-8/31 حوالي8776(البشايرة:161:1999) أما في الوقت الراهن فيقدر عددهم بـ (15) ألفاً. (Fanack : 2014)

علاوة على ما تقدم، هناك أقليات جاءت من أماكن مختلفة من العالم. ومنها الأكراد وأصلهم من كردستان، ولهم جذور تاريخية عميقة في الأردن، حيث ذكرهم بيركهارت عندما وثق عام 1812 أن مسلمي السلط يتألفون من ثلاث عشائر: الأكراد، والقطيشات، والعواملة. وجاء في تقرير لفريدريك بيك قائد الجيش الأردني عام 1928 أن عدد الأكراد في الجيش بلغ (14) قيادياً. قدر عددهم في عام 2004 ما بين (15-20) ألف نسمة (الكردي: 2004) ويقدر عددهم في الوقت الراهن بنحو 30.000نسمة. (Fanack : 2014)

وحول الواقع الممزق للأكراد في الأردن يشير الكردي إلى أن الواقع الكردي الخارجي ممزق ويفتقد إلى دولة كردية يتطلعون إليها أو يستمدون منها القوة والعزم والمساندة مما جعلهم ينكمشون على ذاتهم ويندمجون في الوسط الساكنين فيه وينسون لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهناك انقسام بين الأكراد أنفسهم حول ضرورة تمثيلهم نيابياً نظراً لانتشار الأكراد في أماكن مختلفة كثيرة من الأردن، فكيف يمكن لنحو (200) صوت من الأكراد في لواء الكورة مثلاً إفراز نائب أمام (90) ألف نسمة من مجموعة سكانه.(الكردي: 2004). ولكن ربما يؤدي وجود قوائم انتخابية وطنية وأصوات وطنية إلى إعادة لحمة الأقلية، وانتخابها من يمثلها في حال تعمق التواصل بينها.

ومن هذه الأقليات كذلك الدروز، الذين استوطنوا في مدينة الأزرق عام 1918 ومن ثم عام 1924 بعد أن ازداد الوضع سوءاً في جبل الدروز إثر قسوة الاحتلال الفرنسي على المواطنين. وتضاعفت أعدادهم أثناء الثورة السورية، وبعد انتهاء الثورة عاد عدد قليل منهم إلى قراهم بينما قدم عدد آخر بين عام (1932-1945) وأقاموا في أماكن مختلفة من الأردن بما في ذلك عمان والرز قاء. (أبو حمدان: 2003) ويقدر عددهم في الوقت الراهن بـ (15.000) نسمة. (Fanack: 2014)

وثمة استياء من عدم تمثيل الدورز في البرلمان، ولخلو المواقع السيادية والسياسية منهم. علماً بأن هناك شخصيات درزية ساهمت في إدارة الدولة منذ عام 1905، مثل رشيد طليع أول رئيس وزراء وعادل أرسلان أول رئيس للديوان الأميري، وفؤاد سليم قائد الجيش. (انظر، العظم: 2014)

ومن الأقليات الإثنية كذلك. الأرمن، وأصلهم من أرمينيا في تركيا وهم من المسحيين الأرثوذكس، هاجروا إلى الأردن بين عامي 1915-1918 نتيجة الاضطرابات السياسية للإمبراطورية العثمانية وكان عددهم نحو (16.000) وغادر العديد منهم إلى الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وكندا، واستراليا بسبب ارتفاع معدل البطالة في سبعينات القرن العشرين. وانخفض عددهم إلى 4.000، وعلى الرغم من اندماجهم في الثقافة السائدة إلا أنهم احتفظوا بشعور قوي بهويتهم وحافظوا على لغتهم وثقافتهم الأصلية. (Fanack: 2014)

ومن الأقليات أيضاً، التركمان وهم من المسلمين السنة وأصلهم من تركستان. إحدى شعوب تركيا وشرق شمال إيران وغرب أفغانستان ويتكلمون اللغة التركمانية. وينتمون إلى قبيلة قرة تكالي، انتقل جزء منها إلى البلقاء عام 1874. إخطار معظمهم العودة إلى تركيا عام 1935، ويقدر عددهم بـ (25.000). (Fanack : 2014)

وتجدر الإشارة إلى أن جميع الأقليات قامت بتأسيس الجمعيات الخاصة بها في مراحل مختلفة من تاريخ وجودها في الأردن، كما أسست النوادي الرياضية، والمدارس أحياناً. كما كرست معظمها زواجاً داخلياً بصورة نسبية. لكنها بذات الوقت لا تحظى بتميز ولا تلقى تمييزاً ضدها في المجال العام. وعلى المستوى الدستوري الرسمي ذكر المشرع للدستور الأردني مصطلح الأقلية لأول مرة في القانون الأساسي لسنة 1928 في المادة (25) عند الحديث عن انتخابات مجلس النواب، وجاءت المادة بالقول: (يتألف المجلس التشريعي من ممثلين منتخبين طبقاً لقانون الانتخاب الذي ينبغي أن يراعى فيه التمثيل العادل للأقليات). وقد أعاد المشرع النص في المادة (33) من الدستور لسنة 1947. ولكن في عام 1952 أسقط المشرع عبارة "مراعاة التمثيل العادل للأقليات". من المادة (67) التي تتحدث عن انتخاب مجلس النواب. وقد

استبدلت بمفهوم المواطنة لصهر الفروقات بين مكونات المجتمع، ومن هنا، كان إغفال موضوع الأقليات في الدستور لسنة 1995 مقصوداً لذاته. (انظر: العجارمة :2013)

يتضح من خلال ما تقدم أن الأقليات في الأردن تمثل جزءاً لا يتجزأ من العضوية التاريخية للمجتمع الأردني، وقد ترافق هذا التفاعل التاريخي عبر المكان، بشكل خاص بعد تأسيس الدولة، مع تسويغ تدريجي للموقف التفاعلي والعلائقي بين الدولة والمجتمع العام من جهة والأقليات من جهة أخرى. وقد شكلت هذه الحالة سياقاً " طبيعياً" للوجود المشترك، الذي يخلو من التمايزات والشقاق، ولكنها كجزء من التركيبة الاجتماعية العشائرية للمجتمع الأردني عملت الأقليات على حفظ هويتها وانتمائها الإثني الذي يكرس وحدتها وتضامنها، وأصلها وتراثها. ورغم ذلك، فإن عملية الحفاظ على الهوية الإثنية ليست منعزلة عن السياق المجتمعي وتطوراته وتحولاته واستقطاباته. الأمر الذي يؤثر على تدفق عملية الحفاظ على الهوية وكثافة مكوناتها، مع مرور الزمن وتعاقب الأجيال.

نظرية التشكيل: المقدمات التفسيرية لإعادة إنتاج الهوية الاثنية

تعتبر"الممارسة الاجتماعية" Social practice ركيزة أساسية لنظرية التشكيل. وتتضمن الممارسة تياراً مستمراً من النشاطات العملية التي تشيد الحياة الاجتماعية. وتجدر الملاحظة بأن الاسم البناء structure قد تم استبداله بالفعل يبني structuring وهذا يوضح ثلاثة اعتبارات أساسية: أولاً، إن عملية التشكيل تمثل شيئاً يمارس بنشاط وفاعلية. ثانياً: تتضمن عملية التشكيل ربط الزمان والمكان بالنسق الاجتماعي، ولذلك فإن النسق الاجتماعي يمثل "النشاطات الموقفية للفاعلين البشر، التي يعاد إنتاجها عبر الزمان والمكان".

ثالثاً: يجب فهم عملية التشكيل كممارسة تتضمن إعادة تكرار نظامية للنشاط الاجتماعي في أماكن وأزمنة مختلفة. (Giddins: 1984:17-21 Giddins:1979:69: Archer:1988)

وهذا يعني بأن الهوية الإثنية لا تمثل الخصائص الثقافية والفيزيقية المجردة لجماعة من الأفراد. إنما هي ما يتم استحضاره عبر الممارسة الاجتماعية، وما يعاد إنتاجه عبر النشاطات العملية في أماكن وأزمنة مختلفة ليعبر عن تميز الجماعة فيزيقياً وثقافياً، وبالمقابل فإن توقف النشاطات العملية التي تستحضر التفاعل بين مكونات الهوية الإثنية في المكان والزمان يؤدي إلى اضمحلال الهوية الإثنية المتدفقة عبر الفعل ويحيلها إلى بنية صورية.

وعلى هذا الأساس، يذهب أنتوني جدنز Giddins إلى أن البنية خارجية(هناك) كبنية اجتماعية ملاحظة. وداخلية (هنا) كأفعال إنسانية مستدمجة. أي أن التقاليد والمعايير، والقواعد الأخلاقية، والطرق المؤسسة لفعل الأشياء تؤثر بقوة في سلوكنا. ولكنها بشكل تدريجي وتكراري تتغير عندما نبدأ بتجاهلها، أو استبدالها، أو نعيد إنتاجها بشكل مختلف. (Giddins:1984)

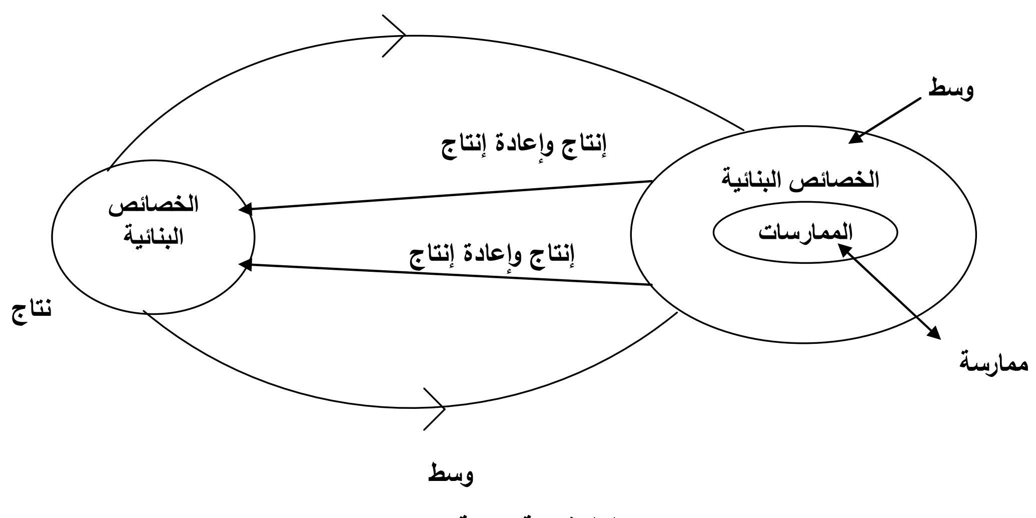
تحدث عملية التشكيل عبر حشد Mobilization القواعد والمصادر التي تقوم عليها البنية الاجتماعية. فالقواعد Rules تمثل فهم ما هو صواب وما هو خطأ ضمن مسار الفعل في موقف معين، وهي تلعب دوراً في تشكيل المعنى من ناحية، وترتبط بالضبط والجزاء من ناحية أخرى. إن إدراك القواعد يعبر عنه بالوعي العملي الذي يتصف به الفاعل الإنساني. أما المصادر Resorurces فهي أية وسائل يمارس من خلالها الفاعلون فعل القوة Agency وهناك نوعان من المصادر: المصادر المخصصة Allocative وتولد السيطرة على الموضوعات أو أية ظواهر مادية أخرى. والمصادر السلطوية Authorative وتولد السيطرة على الأشخاص. (Giddins:1984:377)

ويمكن الاستنتاج بأن عملية تشكيل الهوية الإثنية تتم عبر حشد القواعد والمصادر الإثنية التي لا تنفصل عن بعضها عملياً، وتتم هذه العملية عن طريق التنشئة الإثنية التي تربط الأفراد بإثنيتهم وتاريخها وإنجازاتها. وتكرس لديهم المدركات الإيجابية حولها بحيث تصبح إطاراً مرجعياً لهم وتكرس لديهم منظومة علاقات بين إثنية على مستوى الصداقة، والزواج الداخلي وتولد لدى الأفراد دافعية لمشاركة الإثنية اهتمامها، ونشاطاتها والحفاظ على موروثاتها، ومناسبتها، واحتفالاتها والالتزام بمعاييرها وأخلاقياتها. كما تكسب الأفراد اللغة الإثنية التي تجسد بدورها الثقافة الإثنية وما تحمله من دلالات ومعاني، وتشكل إطاراً عملياً للثقافة الإثنية بما تحمل من

طرق تفكير وتصورات حول الواقع، كما تعتبر اللغة الإثنية رمزاً للهوية الاثنية. (Brinkerhoof and white : 1988:59-60)

تقترن فكرة التشكيل بفكرة "ثنائية البنية" Duality of structure". وتشير إلى أن الفاعلين والبنى لا يمثلان منظومتين منفصلتين من الظواهر. وهذا يعني أن الخصائص البنائية للأنساق تمثل " وسطاً" و"نتاجاً" للممارسات التي تنظمها بشكل مستمر. ولذلك فان البنية ليست خارجية بالنسبة للأفراد، إنها مخططات ذاكرة (MemoryTraces) وقرارات عملية مستمرة في الممارسات الاجتماعية، وهي داخلية أكثر مما هي خارجية بالنسبة لنشاطات الأفراد، وهكذا، فإن البنية لا تعادل معنى القيد، بل هي دائماً" تقييدية" Constraining و"تمكينية " Enabling. (Giddins:1984:26)

وبالقياس على الهوية الإثنية، فان خصائص الإثنية تمثل الوسط الذي تتدفق بموجبه الممارسات، وبذات الوقت فإن تدفق الممارسات الإثنية ينتج هذا الوسط (القواعد والمصادر الإثنية) ويعيد إنتاجه بشكل مستمر. ومن جهة أخرى، فإن القواعد والمصادر الإثنية (البنية الاثنية) تقيد الفعل الإثني، ولكنها بذات الوقت تمكنه من فعل شيء ما أو تحقيق غاية معينة.



شكل(2) ثنائية البنية

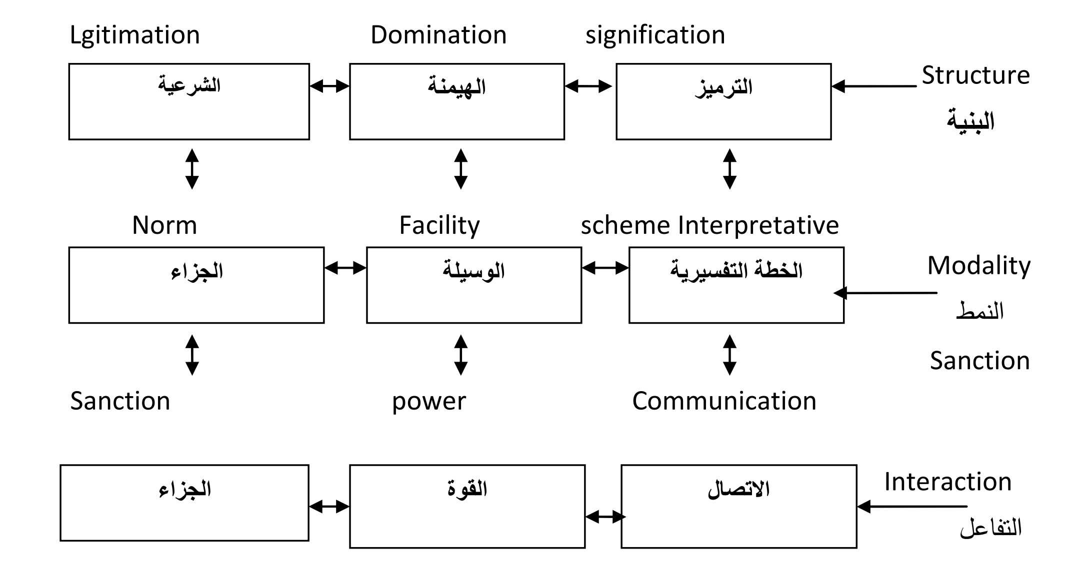
إن فعل التشكيل هو بذات الوقت تكراري، وتدخلي، وروتيني، فهناك علاقة دائرية بين البنية والفعل تستلزم تمدد الثقافة عبر ما يعرف بـ" جريان البنية". Instantiation of structure أي أن القواعد والمصادر الثقافية تعيدان إنتاج جريان البنية عندما يستحضران بموجب الممارسات الروتينية. وفي مستوى الحياة اليومية، تعتبر فكرة الروتين ذات أهمية بالغة في عملية التشكيل، حيث يشبع الروتين الحاجة السيكولوجية للحس بالأمن الوجودي عن طريق إنتاج القواعد المتفق عليها، ويمكن الفاعل من تنفيذ مراقبة انعكاسية Reflexive Monitoring على أفعاله. كما يؤدي وظيفة تحقيق الاستقرار Stabilizing Function. إن المراقبة الانعكاسية تمنح الفاعل القدرة على التدخل في عالم الموضوعات، وهذا يعني إمكانية تغيير موضوعات بنائية حاسمة مثل القواعد والمصادر كما يعني وجود حد أدنى من الحرية. (Giddin1984:26-28, Mouzelis: 2000)

ويضيف جدنز: "في جميع سياقات الحياة الاجتماعية تحدث عمليات " فلترة معلومات انتقائية" Selective Information Filtering، وبواسطتها يبحث الفاعلون الاستراتيجيون، انعكاسياً Reflexively عن تنظيم الظروف الكلية لإعادة إنتاج النسق إما من أجل الحفاظ على الأشياء كما هي أو لتغييرها". (Giddins:1984:28)

إذن، إعادة إنتاج الهوية الإثنية تمثل استراتيجية مرتبطة

بوعي الفاعلين ومدركاتهم المتعلقة باثنيتهم كمرجعية، وهذا يقتضي وجود دافعية لدى الفاعلين للقيام بالممارسات الإثنية، إن هذه الدافعية تقترن بمستوى الأمن الوجودي الذي يستحضره الأفراد من خلال القواعد الإثنية، وكذلك مستوى تحقيق الاستقرار (المعنوي والمادي). ووفق هذا المعنى، فان إعادة أنتاج الهوية الإثنية ليست منفصلة عن اشباعات الفاعلين، ومن هنا يحدث التدخل من أجل التعديل أو التغيير الجذري أو الحفاظ على القواعد الإثنية كما هي.

وللمزيد من الإيضاح، يؤكد جدنز بأن البنية تتألف من ثلاثة أبعاد هي: الترميز، والهيمنة، والشرعية. وكل بعد بنائي له بعد مطابق يتعلق بالفعل، وبذلك فان أبعاد الفعل، على التوالي هي: الإتصال، والقوة، والجزاء، ويلتقي الفعل مع البنية في نمط من التشكيل يتضمن إعادة إنتاج الخصائص البنائية، فالترميز يتعلق بالمعنى المتداول عبر عملية التواصل، والهيمنة تتعلق بالقوة كما تمارس من خلال السيطرة على المصادر والوسائل، والشرعية تتعلق بالنظم الأخلاقية مثل المعايير والمبادئ والقواعد التي يترتب عليها فرض جزاءات معينة.



(Giddins: 1984 : 29)

شكل (3)

أبعاد ثنائية البنية

وهكذا، فإن طروحات نظرية التشكيل تساعد في فهم عملية إعادة إنتاج الهوية الإثنية واختبارها من خلال الاشتقاقات الآتية:

أولاً: إن حضور الهوية الإثنية ببناها الرمزية والثقافية ضمن الممارسات والنشاطات النظامية المتكررة للأفراد يحقق لها البقاء والاستمرار، ومن ثم فإن هذه العملية تتطلب تنشئة الفاعل اثنيا ليستدمج البناء الثقافي والرمزي ويعيد إنتاجه.

ثانياً: إن عملية إعادة إنتاج الهوية الإثنية، ليست ميكانيكية أو عفوية. بل هي " استراتيجية" تقترن بوعي الفاعل الإثني وإدراكه لجماعته الإثنية باعتبارها جماعة مرجعية تمكنه في نواحي مختلفة وتنظم أُمور حياته، وتحقق له الأمن الوجودي والاستقرار، وتمنحه الهوية والانتماء، وهذا يعني أن التقييدات التي تفرضها الإثنية على الفرد لها وجه آخر تمكيني.

ثالثاً: يمثل التواصل البين اثني وإعادة إنتاج العلاقات الإثنية آلية هامة في إعادة إنتاج الهوية الاثنية. حيث يعمل الاتصال على إعادة إنتاج المعاني والدلالات والمدركات المتعلقة بالبناء الرمزي للهوية الاثنية. وبطبيعة الحال فإن اقتران هذا التواصل باللغة الإثنية يعمق عملية إعادة الإنتاج، حيث تعتبر اللغة الإثنية حاضنة للثقافة الإثنية ودلالاتها.

رابعاً: تلعب حافزية الفاعل الاثني دوراً مركزياً في عملية إنتاج الهوية الاثنية. وهذه المسألة تقترن ببذل الجهد، والتدخل المقصود في صيانة الهوية الإثنية وتدعيم بقائها. إن دافعية الفاعل ترتبط بالتنشئة الإثنية والوعي الإثني، مما يدل على تكاملية آليات إعادة الإنتاج للهوية من ناحية وارتباط قوة هذه الآليات بمدى توفرها (عدد الآليات المتوفرة) من ناحية أخرى.

خامسا: تستمد الهوية الإثنية شرعيتها من خلال تطبيق المعايير الإثنية وممارستها كما تستمد قوتها من خلال اعتماد الأفراد على ما تقدمه الجماعة الإثنية لهم ومن ثم فإن الالتزام بمعايير الإثنية عبر الممارسات الاجتماعية يعيد إنتاج شرعية الهوية الإثنية ويكرس خضوعهم لها.

الدراسات ذات الصلة بالهوية الاثنية

بوجه عام، تكشف مراجعة الأدبيات المحلية حول الجماعات الإثنية عن محدودية الإنتاج العلمي وندرته، إن هذه الحقيقة تظهر الحاجة إلى ملئ هذه المساحة المعرفية الفارغة والمهملة في سياق المجتمع الأردني من ناحية، كما تسوغ إجراء هذه الدراسة المتواضعة باعتبارها مساهمة في التأسيس المعرفي (العلمي) حول الأقّليات الإثنية في الأُردن، بالإضافة إلى ذلك فإن معظم الدراسات أجراها أبناء الأقليات الإثنية أنفسهم من باب التوثيق لأَقليتهم وإلقاء الضوء عليها، مما يؤكد ضرورة توفير رؤية محايدة حول الأَقليات الإثنية من خارجها.

ومن بين الدراسات المتعلقة بالهوية الإثنية محلياً. دراسة محمد مامسر حول طبيعة التحولات التي طرأت على اللغة الشركسية محادثة وقراءة وكتابة، وكشفت الدراسة أن 92% من أفراد العينة الذين تقل أعمارهم عن 35 سنة لا يستخدمون اللغة الشركسية ولا يفهمون ما يدور حولهم من أحاديث باللغة الشركسية (مامسر:ج1: 2009). وكشفت دراسة محمد وردم الموسومة:" التحولات في المجتمعات المحلية الأردنية من أصول شركسية". أن 40–50% من مجموع أفراد المجتمع الشركسي (الأسر الشابة الجديدة) لم تعد اللغة الشركسية فيها اللغة الأم وأنهم لا يتخاطبون باللغة الشركسية منذ منتصف السبعينات (موثق في ماسر:ج1: 2009) وهذه النتائج توضح أنه ثمة خطر يهدد الهوية الشركسية على المدى البعيد، بإعتبار اللغة الشركسية رمزاً لها، وتجسيداً لثقافتها.

وأظهرت نتائج الدراسة التي أجرتها أَردا فريج ديركرا بديان، الموسومة: "الأرمن الأردنيون: الواقع الاجتماعي والهوية". أَن (181) من الزوجات في الأُسر الأرمنية التي بلغ مجموعها في الدراسة (293) أسرة موزعة على محافظات مختلفة، هن أرمنيات، و(28) عربيات، و(4) أجنبية، كما بينت الدراسة أن (191) من أمهات الأَزواج هن أرمنيات، و(22) عربيات. كما بينت الدراسة أن (91) من الآباء لا يوافقون على زواج أبنائهم الذكور من غير الأرمنيات، و(34) يوافقون، و(88) محايدون، وبالنسبة للبنات (95) من الآباء، يرفضون تزويجهن من غير الأرمن و(32) موافقون و(86) محايدون وأَظهرت الدراسة أن (24) من (213) لا يعرفون اللغة الأرمنية قراءة وكتابة، بينما (5) فقط لا يعرفونها محادثة. وأن (115) يستخدمون اللغة الأرمنية في الأُسر، و(73) يستخدمون الأرمنية والعربية، و(21) يستخدمون العربية. و(90) يستخدمون اللغة الأرمنية مع الأصدقاء و(106) يستخدمون الأرمنية والعربية، و17 فقط يستخدمون العربية فقط. كما بينت الدراسة أَن معظم الأرمن يشجعون التحدث باللغة الأَرمنية وتعلم الثقافة والتراث الأرمني والمشاركة في النشاطات الثقافية الأرمنية. كما كشفت الدراسة أن معظم الأرمن لديهم هوية وطنية مزدوجة حيث أن (84) يعتبرون هويتهم أردني أرمني، و56 أرمني أردني و50 ارمني مسيحي أردني و50 أرمني مسيحي أُردني و5 أرمني و14 أُردني. (دير كرابديان: 2005)

"وبالمقابل، هنالك وفرة واضحة في الدراسات الإثنية على المستوى العالمي. ومن قبيل ذلك دراسة فاستو بارلوكو (Barlocco:2013) في ماليزيا حول تشكيل الهويات الإثنية وقد أظهرت الدراسة أن من الآليات الهامة في إعادة إنتاج الهوية الإثنية والانتماء لها على حساب الانتماء للدولة، تعريف

الأشخاص أنفسهم من خلال مجتمعاتهم المحلية وشبكاتهم القرابية.

ويساعد في ذلك الإعلام والإعلانات التجارية، مثلاً، تظهر جريدة الصباح احتفالات أقلية القادازان kadazan بعيد الكمتان kamatan من خلال التركيز على اللباس التقليدي وأنماط الزخرفة التقليدية، والحقول الناضجة التي تنتظر الحصاد، والموسيقى التقليدية وأدواتها التقليدية مثل الصنوج، مما يميز الأقلية داخل المجتمع ويعكس موروثاتها الخاصة.

ومن الآليات الهامة في إعادة إنتاج الهوية الإثنية " التنشئة الاثنية" وبهذا الخصوص أظهرت دراسة تسيا (Tsai:2006) التي أُجريت على الجيل الثاني من التايوانيين الأمريكيين. بأن الوالدان يلعبان دوراً حيوياً في تطوير هوية إثنية إيجابية وقوية لدى أبنائهم من خلال تعليمهم اللغة الإثنية والإرث الثقافي. وكذلك تزويدهم بمشاعر الفخر باثنيتهم، وقد خلصت الدراسة إلى أن قدرة اختيار الفرد لانتمائه الإثني وممارسته دوراً إثنياً إيجابياً أكثر أهمية من مجرد وجوده في مجتمع إثني لكي تتطور الهوية الإثنية لدية. ولذلك فإن الجيل الثاني من التايوانيين الأمريكيين لديهم صعوبة في تشكيل هوية إثنية إيجابية لأنهم يستدمجون الرؤية السلبية التي يمتلكها المجتمع الأكبر حول جماعتهم الاثنية.

وفي السياق ذاته أَظهرت دراسة فوتسيناس (voutsinas2012). والتي أجريت حول الجيل الثاني من المهاجرين إلى الولايات المتحدة، بأن النزعة الوالدية واحتضان الأبناء يلعب دوراً كبيراً في تشكيل الهوية الاثنية. وقد كشفت الدراسة أن الأفراد (طلبة جامعة) الذين تمسكوا بالهوية الإثنية كانوا أكثر ميلاً لإظهار مستويات مرتفعة من تقدير الذات. بالإضافة إلى ذلك كشفت دراسة لاي (Lia:2012) والتي أُجريت على عينة حجمها (2.272) مبحوث من كبار السن الصينيين في كندا. بأن الهوية الإثنية لدى كبار السن الصينيين تمثل بنية ذات أربعة أبعاد يعاد إنتاجها باستمرار وهي: أ) النشاطات الثقافية الإثنية، ب) روابط المجتمع المحلي الإثني، ج) التواصل مع الموطن الأصل، د) التماهي الثقافي الاثني.

وكذلك، أَظهرت دراسة افيرجيتي (Evergeti :2006) والتي أجريت حول خبرات المهاجرين اليونانيين في بريطانيا، بأَن عملية إعادة إنتاج الهوية الإثنية مستمرة من خلال الاتصالات والزيارات التي لا تنقطع مع المجتمع الأصل، واستخدام النزعة العائلية والأعراف، وذكريات الماضي كأَدوات قوية للتماهي الإثني، بالإضافة إلى انخراط الأفراد في شبكات إثنية تقدم لهم دعماً عملياً وسيكولوجيا وتستخدم هذه الشبكات كمصدر لإعادة إنتاج الهوية الإثنية بشكل خاص لدى الجيل الأَول.

ثمة توجه أخر من البحث الاثني تم التركيز فيه على العوامل المؤثرة في الإثنية ومن هذا القبيل، دراسة دونج (Dong:2003) حول تشكل الهوية الإثنية لدى الصبية الأسيويين الشرقيين والجنوبيين الشرقيين الجناة، وقد حاولت الدراسة الكشف عن العلاقة بين الهوية الإثنية وارتكاب الجنحة. وقد كشفت الدراسة بأَن السياق الاجتماعي وتجاربه تلعب دوراً بالغ الأهمية في الجنوح مثل تجربة النزعة العرقية والوصم والشعور بالعزلة. ومن ناحية أخرى يدفع هذا السياق الأَفراد إلى التوحد مع جماعتهم الإثنية ويجعلهم يستعيدون الشعور بالعضوية، والمعرفة حول جماعتهم. كما كشفت الدراسة أن التفكك العائلي ضمن الجماعة الإثنية يزيد من تأثير جماعة الأقران التي تمنح الأفراد شعوراً بالعضوية والانتماء بدلاً من الأُسرة، وتعمل كوكيل بديل للأسرة في التنشئة الاجتماعية.

وفي السياق ذاته أظهرت دراسة ليسا كيانج (kiang:2004) التي أجريت حول الهوية الإثنية لدى الصينيين الأمريكيين، بأن العزلة الثقافية تلعب دوراً هاماً في بروز الهوية الإثنية، ولكن هذه الدراسة تلفت الانتباه إلى أن دور العزلة يتفاعل مع التنشئة الوالدية في تشكيل هوية إثنية قوية وتماهي اثني أكبر.

وهناك عوامل أُخرى تؤثر في تشكيل الهوية الإثنية أظهرتها دراسة فاراندا ونول (Faranda and Nolle:2011) الموسومة " حدود الهوية الإثنية في آسيا الوسطى "، حيث أُجريت الدراسة على الأقليات في كازاخستان Kazakhstan وكيرجستان kyrgyzstan باستخدام مسوحات الرأي العام الوطنية لعام 2005، وبينت الدراسة أَن حدود الهوية الإثنية تتفاعل مع المكانة الاجتماعية والقوة النسبية للأقلية والتقارب المكاني بين أَعضائها. وبينت الدراسة أن بعض الأقليات الإثنية ما تزال معجبة ببعض خصائص الثقافة الروسية وما تزال تستخدم اللغة الروسية على نطاق واسع للتواصل فيما

بينها مما يشير إلى أن هذه المناطق قد استقلت سياسياً عن روسيا وليس ثقافياً.

وبهذا الخصوص أيضاً أظهرت دراسة سماجدا وجيرتز (smajda and Gerteies:2012) والتي أجريت حول الحدود الإثنية للحي الإيطالي في بوسطن، بأن تفاعل الهوية الإثنية مع المصالح الاقتصادية يؤدي إلى فتح الحدود الإثنية، واضمحلال الرمزية الإثنية، وأن التطورات المجتمعية تؤدي إلى اختلافات بين جيلية تضعف الحدود الإثنية، ونتيجة ذلك فإن المشاركين في أعمال الحي الإيطالي، وأصحاب الأعمال، والسياسيين يواجهون تحديات في تعيين الحد الإثني (من هو إيطالي ومن ليس كذاك؟). وكذلك يواجهون تحديات في تعيين المحتوى الثقافي (ماذا يعني أن يكون المرء إيطالياً ؟).

إن ظهور الأبعاد المكونة للهوية الإثنية بشكل أكبر يزيد من قوة الهوية الاثنية. وقد كشفت دراسة جورزا بينا فيدز (Gorza – Benavides :2003) بأن الهوية الإثنية لدى المكسيكيين الأمريكيين كانت قوية على مقياس الهوية الاثنية. وتعود هذه النتيجة إلى إدراك اللغة واستخدامها لفظياً بشكل متميز، وكذلك قوة التنشئة الإثنية عن طريق الوالدين، ومعرفة الأعراف الثقافية، والمشاركة بالتقاليد الاثنية.

ويترتب على حضور هوية إثنية قوية مجموعة من العوائد التي تنعكس على أعضاء الجماعة الإثنية، وقد أظهرت دارسة تشانيز وجود وديبريتو (Chavez and Guido- DiBrito:1999) بأن الهوية الإثنية تمثل حصانة ضد الإشارات والرسائل العرقية التي يتلقاها الفرد، وكلما غابت الهوية الإثنية بشكل أكبر تتولد لدى الأفراد مشاعر العزلة والخجل. وفي السياق ذاته كشفت المراجعة الواسعة للدراسات المتعلقة بالهوية الاثنية, بأن الهوية الإثنية القوية تقود إلى تحصيل أكاديمي قوي، وتقدير ذات مرتفعHigh self- esteem، وكفاءة ذاتية مرتفعة High self- efficacy، وبالمقابل فإن الهوية الإثنية الضعيفة تؤدي إلى نتائج مغايرة بالإضافة إلى تشكيل نزعة عدائية.(Castle, Knight, waters:2011)

ومن خلال النتائج التي توصلت أليها الدراسات التي تم عرضها سابقا. يمكن الوصول إلى الاستنتاجات التالية:

أولاً: تعتبر التنشئة الإثنية التي يتلقاها أعضاء الإثنية عن طريق الوالدين من أقوى آليات إعادة إنتاج الهوية الإثنية حيث ينقل الآباء إلى أبنائهم اللغة الإثنية والتراث الاثني والثقافة الإثنية ومشاعر الفخر بالانتماء الاثني. بالإضافة إلى ذلك يبرز دور روابط المجتمع الإثني والتواصل مع المجتمع الأصل، والانخراط في النشاطات الاثنية.

ثانيا: إن إعادة إنتاج الهوية الإثنية تتأثر بمكانة الأَقلية في المجتمع والانحياز ضدها بالإضافة إلى التقارب المكاني بين أعضاء الإثنية، وكذلك فإن التغيرات المجتمعية تحدث توتراً في إعادة إنتاج الهوية الإثنية عبر الأَجيال، ومن ثم كلما كانت الجماعة الإثنية أكثر انعزالا وانغلاقا يمكن أن تعيد إنتاج هويتها الإثنية بشكل أكبر. وتتشكل لديها نزعة عدائية أكبر فضلاً عن أن السياق الاجتماعي الذي توجد فيه الجماعة الإثنية يعتبر حاسماً في إعادة إنتاج هويتها. فكلما كان السياق أكثر تحضراً وتقدماً وانفتاحا يضعف الهوية الاثنية.

ثالثا: تعمل الهوية الإثنية على تحقيق الاستقرار الاجتماعي والسيكولوجي لدى أعضاء الجماعة الإثنية وترفع لديهم تقدير الذات والفاعلية والاعتداد بالذات، ومن ثم فإن إدراك الأفراد لهذه العوائد وغيرها يدفعهم إلى إعادة إنتاج هويتهم الإثنية والحفاظ عليها.

وهكذا فإن الدراسة الراهنة، تنضم إلى هذا الطيف الواسع من الدراسات الإثنية لتساهم في تقديم معرفة أولية متواضعة حول مدى حضور الهوية الإثنية لدى الجماعات الإثنية في المجتمع الأردني ومدى تحولها. وبأقل تقدير، فإن هذه الدراسة، التي تركز على خمس آليات مجتمعة لإعادة إنتاج الهوية الإثنية، تستمد شرعية اجرائها من ندرة الدراسات حول الجماعات الإثنية في الأردن.

منهجية الدراسة

مجتمع الدراسة

يتألف مجتمع الدراسة من جيل الشباب الذي يقع ضمن الفئة العمرية (20–25) عام من الأقليات الخمس الأكثر حضوراً في السياق الاجتماعي للمجتمع الأردني وهي: الشركس ويقدر عددهم بـ (190) ألف، والشيشان (15) ألف. والأكراد (30) ألف، والأرمن (4) آلاف، والدروز (15) ألف. إن الفئة العمرية التي يقع فيها مجتمع الدراسة تمثل الجيل

الرابع أو الثالث بالنسبة للأقليات الموجودة في المجتمع الأردني وضمن هذه الفئة تظهر خلاصة إعادة إنتاج الهوية الإثنية عبر الزمان والمكان. وهذا النهج في اختيار مجتمع الدراسة في الدراسات الإثنية ليس جديداً؛ حيث أكد العلماء منذ منتصف القرن الماضي أنه من أجل فهم التحولات الإثنية يجب دراسة ثقافة جيل الشباب التي تظهر كجزء من عملية التكيف المتغيرة في بلد المهجر. (انظر1977 Lea and young: 1982, Watson)

عينة الدراسة

تتألف عينة الدراسة الكلية من (496) شاب وشابة من مختلف الأقليات التي تمثل إطاراً للدراسة. وقد تم سحب العينة قصدياً لمراعاة شرط العمر (20–25) ولعدم توفر قائمة بأسماء المبحوثين. حيث تم الترتيب مع الجمعيات الإثنية، والنوادي الإثنية، وطلاب من الأقليات في الجامعات الأردنية المختلفة، بالإضافة إلى زيارة المكان الذي تتواجد فيه الأقلية بعد الترتيب مسبقاً مع أحد أعضاء الأقلية. لقد تم جمع العينة خلال أربعة أشهر ونصف الشهر، علماً بأن الباحث قد استعان بمساعدي بحث ذكوراً وإناثاً، وقد توقفت عملية جمع المعلومات بعد أن وصل العدد إلى (496) وحدة، حيث أصبح الحصول على المزيد من المبحوثين وفق شرط العينة أكثر صعوبة، علماً بأنه لم يتم إتلاف أية استبانة.

أداة الدراسة (انظر الملحق رقم (1))

اعتمدت الدراسة في جمع المعلومات على استبانة مكونة من جزئين: الجزء الأول، تضمن البيانات الأولية التي تعكس خصائص عينة الدراسة مثل : (الأقلية التي ينتمي إليها المبحوث، والنوع الاجتماعي، والإقامة في مكان تواجد الأقلية، ومهنة الوالدين). الجزء الثاني، تضمن خمسة محاور يجسد كل منها آلية لإعادة إنتاج الهوية الإثنية تم اشتقاقها من نظرية التشكيل. وهي: 1– إدراك المرجعية الإثنية وتضمن (11) سؤلاً. 2– التنشئة الإثنية وتضمنت (9) تساؤلات. 3– العلاقات الإثنية وتضمنت (12) سؤلاً. 4– محفزات الفاعل الاثني وتضمنت (11) سؤالاً. 5– اللغة الإثنية وتضمنت (8) تساؤلات.

صدق الأداة

تم الاعتماد على طريقة (اجتماع المحكمين) حيث عرضت الأداة على مجموعة من الأستاذة المتخصصين في علم الاجتماع، ومن ثم تم التعديل وفق ملاحظاتهم، حيث أضيفت مؤشرات وحذفت مؤشرات وأعيدت صياغة بعضها.

ثبات الأداة

تم احتساب الثبات بطريقة كرونباخ ألفا وكانت قيمة معامل الثبات للأداة ككل (0.88) وهي قيمة مرتفعة ومقبولة لأغراض القياس. حيث يعتبر الثبات مقبول إذا زاد عن (0.70).

المعالجة الإحصائية

اعتمدت معالجة البيانات على البرنامج الإحصائي الخاص بالعلوم الاجتماعية (spss) حيث استخدمت عدة نماذج إحصائية شملت النماذج الوصفية البسيطة كالتوزيعات التكرارية والنسب المئوية لتحليل خصائص العينة. واستخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحليل آليات إعادة إنتاج الهوية الاثنية. كما تم استخدام تحليل التباين الأحادي One-way ANOVA للكشف عن الفروق في إعادة إنتاج الهوية الإثنية بين الأقليات الإثنية الخمس.

تصحيح المقياس

تم استخدام مقياسين التدرج الرباعي بما يضمن توافق منطق الإجابة مع منطق السؤال المطروح. وهما : موافق بشدة (أعطيت أربع درجات)، وموافق (3 درجات) وغير موافق (درجتان)، وغير موافق بشدة (درجة واحدة). وعلى النحو ذاته تم استخدام المقياس الثاني: بدرجة كبيرة، وبدرجة متوسطة، وبدرجة قليلة، ولا مطلقاً. ومن أجل الحكم على قيمة المتوسطات الحسابية تم اعتماد التصنيف التالي: (1–2 ضعيف/ 2.1–3 متوسط/3.1–4 مرتفع).

عرض النتائج ومناقشتها

جدول (1)

خصائص عينة الدراسة

المتغيرات	الفئة	التكرار	النسبة المئوية
الاثنية/ الأقلية	الأرمن	82	16.5
	الدروز	64	12.9
	الأكراد	83	16.7
	الشركس	148	29.8
	الشيشان	119	24.0
	المجموع	**496**	**100.0**
النوع الاجتماعي	ذكر	291	58.7
	أنثى	205	41.3
	المجموع	496	100.0
المستوى التعليمي للمبحوثين	على مقاعد الدراسة	229	46.2
	بكالوريوس	**246**	**49.6**
	ماجستير	21	4.2
	المجموع	**496**	**100.0**
المستوى التعليمي للوالد	ثانوي	197	39.7
	جامعي	275	55.4
	دراسات عليا	24	4.8
	المجموع	**496**	**100.0**
المستوى التعليمي للوالدة	ثانوي	258	52.0
	جامعي	217	43.8
	دراسات عليا	21	4.2
	المجموع	**496**	**100.0**
هل الوالدين من نفس الأقلية	نعم	411	83.0
	لا	85	17.00
	المجموع	**496**	**100.0**
هل تعمل؟	نعم	275	55.4
	لا	221	44.6
	المجموع	**496**	**100.0**
الدخل الشهري للأسرة	منخفض (أقل من 500 دينار)	29	6.00
	متوسط (500-1200)	375	75.00
	مرتفع (1200- فأكثر)	92	19.00
	المجموع	**496**	**100.0**
هل زرت الموطن الأصل من قبل؟	نعم	284	57.3
	لا	212	42.7
	المجموع	**496**	**100.0**
هل تقيم في مكان تواجد الأقلية؟	لا	117	23.6
	نعم	379	76.4
	المجموع	**496**	**100.0**
المتغيرات	الفئة	التكرار	النسبة المئوية
مهنة الوالد	حكومية عليا	113	22.8
	حكومية عامة	26	5.2
	أعمال حرة	159	32.1
	قطاع خاص	99	20.0
	متقاعد	50	10.1
	قوات مسلحة	49	9.9
	المجموع	**496**	**100.0**
مهنة الوالدة	حكومية عليا	28	5.6
	حكومية عامة	72	14.5
	أعمال حرة	--	--
	قطاع خاص	31	6.3
	متقاعد	14	2.8
	قوات مسلحة	7	1.4
	ربة منزل	344	69.4
	المجموع	**496**	**100.0**

يظهر من الجدول بأَن عدد المبحوثين من الشركس (148)، بينما عددهم من الشيشان (119) وفي الحقيقة، بالرغم من أَن هذه الأعداد تظهر تبايناً شاسعاً في التمثيل

لمجتمع الدراسة على أساس العدد الكلي للأَقلية، إلا أن عدد المبحوثين من كل أقلية كان محكوماً بإمكانية الوصول إلى العينة المطلوبة (الشباب 20–25 سنة) خاصة وأن تجمع الأقلية في المكان الجغرافي وسهولة التواصل مع الأقلية لعب دوراً مهماً في الوصول إلى العينة، علماً بأن (مجتمع الدراسة) أعداد الشباب، لم يكن واضحاً حتى بالنسبة للأَقليات ذاتها.

ولكن بالمقابل تمت مراعاة تمثيل النوع الاجتماعي، حيث أن عملية إعادة إنتاج الهوية الإثنية لا تكون إلا من خلال الجنسين في آن معاً، ومن هذا المنطلق جاءت نسبة الإناث ضمن العينة الكلية (41.3%).

وفيما يتعلق بالمستوى التعليمي للمبحوثين يظهر أن جميعهم متعلمين تعليماً عالياً، وأن (229) منهم ما زالوا على مقاعد الدراسة، حيث تم الاستعانة بطلبة الجامعات الأردنية من أبناء الأقليات. وقد أجاب (411) مبحوث بنسبة (83%) أن والديهم من نفس الأقلية وبالرغم من أن الدراسة الراهن وصفية في المقام الأول، إلا أنه يمكن الاستنتاج بأَن هناك مستوى مرتفع من الزواج الداخلي الذي يضمن مستوى عالٍ من التماسك الاجتماعي والتضامن وإعادة إنتاج الهوية الإثنية، وبالرغم أن الانفتاح التفاعلي مرتفع، إلا أن الانفتاح العلائقي يظهر بصورة أَقل انفتاحاً. ومما يدعم هذه الحالة أن (379) مبحوثاً بنسبة (76.4) يقيمون في مكان تواجد أَقليتهم، الأمر الذي يعمق التفاعل ويكثفه بين أبناء الأقلية، ويظهر كذلك أن هناك مستوى واضح من التواصل مع الموطن الأصل حيث أن (57.3%) من المبحوثين أجابوا بأنهم قد زاروا الموطن الأصل وتجدر الإشارة إلى أن الشركس والشيشان ينظمون زيارات متبادلة من والى الموطن الأصل وكذلك نسبياً الأرمن، كما أن الدروز بحكم التقارب المكاني مع جبل الدروز في سوريا فإن معظمهم زاروا المكان (وطنهم الأصل) وتواصلوا مع أَقاربهم. وقد أظهرت دراسة كل من (Everget:2006, Lai: 2012)، بأن التواصل مع المجتمع الأصل يعمل على تقوية التماهي الإثني وإعادة إنتاج الهوية الإثنية، كما أن زيارة الموطن الأصل تظهر ضمن منظومة الروابط القوية داخل الاثنية.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار كل من الدخل، ومهنة الوالدين، والمستوى التعليمي لهما(وهي المتغيرات المتعلقة بالمستوى الطبقي) يظهر أن الأقليات تتركز في الطبقة الوسطى– العليا وهذا مؤشر على أن الأقليات تحظى بمستوى اقتصادي – اجتماعي مرتفع نسبياً في المجتمع الأردني.

جدول (2)

إعادة إنتاج الهوية الإثنية لدى جميع الأقليات

(العينة الكلية 496)

الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة	الأهمية النسبية
1	**إدراك المرجعية الاثنية**	3.22	0.40	3	مرتفعة	%0.81
2	**التنشئة الاثنية**	3.23	0.44	2	مرتفعة	%0.81
3	**العلاقات الاثنية**	2.84	0.60	4	متوسطة	%0.71
4	**محفزات الفاعل الاثني**	3.41	0.44	1	مرتفعة	%0.85
5	**اللغة الاثنية**	2.79	0.85	5	متوسطة	%0.70
الأداة ككل		**3.11**	**0.40**	-	**مرتفعة**	–

إن المتوسط العام لإجابات المبحوثين على جميع آليات إعادة إنتاج الهوية الإثنية بلغ (3.11) وبدرجة تقييم مرتفعة، وهذا يعني بوجه عام، أن الأقليات الإثنية في المجتمع الأردني ما تزال تحافظ على هويتها وتعيد إنتاجها، ومع الأخذ بعين الاعتبار

الفروقات في الإجابات حول آليات إعادة إنتاج الهوية الإثنية، يظهر بأن الآلية التي تحتل المرتبة الأولى (محفزات الفاعل الاثني). وفي المرتبتين الثانية والثالثة على التوالي (التنشئة الاثنية) و(إدراك المرجعية الاثنية) وبتقييمات مرتفعة.

وفي الحقيقة هذه الآليات لا تنفصل عن بعضها عملياً، فتحقيقات الفاعل وإدراك المرجعية لا يمكن أن تظهرا إلا من خلال التنشئة، أي أن الوالدين ما يزالان يدفعان أبنائهما إلى الارتباط بالأقلية والفخر بها والمشاركة في مناسباتها، وتعلم ثقافتها. الأمر الذي شكل دافعية لدى الأبناء للارتباط بالأقلية والاهتمام بشؤونها، ومن ثم اعتبارها اطاراً مرجعياً يعرفون أنفسهم من خلالها، ويعتبرونها منطلقاً حياتياً لهم. ووفق نظرية التشكيل فإن الأقليات الإثنية ما تزال تحشد القواعد والمصادر التي تسيطر من خلالها على أعضائها وتضمن انتمائهم لها؛ فالتنشئة الإثنية تظهر الثقافة الإثنية باعتبارها وسطاً للممارسات الاجتماعية، وبالمقابل فإن محفزات الفاعل الإثني، بالإضافة إلى إدراك المرجعية الإثنية تظهران الإثنية نتاجاً للممارسات الاجتماعية. مما يعني أن الأقليات الإثنية حتى الوقت الراهن تشهد ما يعرف في نظرية التشكيل بِ " جريان البنية " كتعبير عن تمدد الثقافة الإثنية والهوية الإثنية عبر الزمان والمكان.

ويظهر كذلك بأن (اللغة الاثنية) جاءت في المرتبة الخامسة، و(العلاقات الاثنية) في المرتبة الرابعة. وبدرجات تقييم متوسطة، وتجدر الإشارة إلى أن كل من اللغة والعلاقات تمثلان الآليتان اللتان تتفاعل من خلالهما الأقليات مع المجتمع العام. مما يعني أنه لا يمكن لأبناء الأقلية أن يتعايشوا مع المجتمع العام بالانغلاق على اللغة الإثنية والعلاقات الاثنية. ويبدو ضمن هذا السياق أن هناك صيغة تعايشية عبر الزمان والمكان لدى الأقليات أضعفت حدة الارتباط باللغة الإثنية والعلاقات الإثنية، وقد أظهرت البيانات الأولية للدراسة بأن (17%) من العينة والديهم ليسا من داخل الأقلية. وفي حقيقة الأمر تعتبر اللغة حاملة للثقافة Carrier of Culture يساندها في ذلك العلاقات الداخلية، وهذا يعني أن الهوية الإثنية للأقليات قد ضعفت نسبياً، ولو بحدود ضيقة. كما يعني أن إمكانية ضعفها عبر الأجيال القادمة سوف تكون اكبر إذا تم هدر اللغة الاثنية. فاللغة تجسد الثقافة الإثنية، وترمزها، وتشكل إطاراً عملياً لها. وقد أظهرت الدراسات السابقة ارتباطاً واضحاً بين قوة الهوية الإثنية وإستخدام اللغة الإثنية على نحو متميز. (Corza_Benavids:2003)

إن نظرية التشكيل تظهر أهمية اللغة في إعادة إنتاج الهوية الإثنية من خلال الإشارة إلى العلاقة بين ترميز البنية، والتفاعل على أساس المخططات التفسيرية للبنية الرمزية، وهنا يعني أن عدم التفاعل والتواصل بموجب المخططات التفسيرية للبنية الرمزية، يوقف عملية إعادة الإنتاج ويحيل الثقافة الإثنية واللغة الإثنية إلى صورة رمزية مجردة، مما يبقي على ثغرة هامة في بنية الهوية الإثنية حتى لو كان هنالك مشاركة للفاعل في شؤون أقليته وقضاياها.

جدول (3)

إعادة إنتاج الهوية الإثنية لدى الأرمن (العينة الجزئية 82)

الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة	الأهمية النسبية
1	**إدراك المرجعية الاثنية**	3.29	0.31	2	مرتفعة	%0.82
2	**التنشئة الاثنية**	3.20	0.47	3	مرتفعة	%0.80
3	**العلاقات الاثنية**	2.92	0.62	5	متوسطة	%0.73
4	**محفزات الفاعل الاثني**	3.49	0.34	1	مرتفعة	%0.87
5	**اللغة الاثنية**	2.93	0.73	4	متوسطة	%0.73
	الأداة ككل	**3.17**	**0.35**	-	**مرتفعة**	–

يتبين من الجدول بأن المتوسط الحسابي العام قد بلغ (3.17) وبدرجة تقييم مرتفعة وجاء في المرتبة الأولى

"محفزات الفاعل الاثني"، وفي المرتبة الثانية "إدراك المرجعية الإثنية "، وفي المرتبة الثالثة "التنشئة الإثنية". وهذا يعني أن أعضاء الأقلية الأرمنية لديهم مستوى من الدافعية للارتباط بأقليتهم. والعمل من أجلها، والمشاركة في مناسباتها ومؤسساتها. كما يعتبرونها إطاراً مرجعياً ومنطلقاً حياتياً. ويفخرون بها، ومن الواضح أن الأسرة الارمنية ما تزال تلعب دوراً هاماً في إعادة إنتاج الهوية الإثنية الارمنية، حيث تعد مصدراً أولياً للمعرفة بثقافة الأقلية والمشاركة في مناسباتها، والفخر بها.

ولكن بالمقابل، جاءت اللغة الإثنية في المرتبة الرابعة، والعلاقات الإثنية في المرتبة الخامسة وبدرجات تقييم متوسطة مما يدل على ضعفها النسبي مقابل الآليات الأخرى، وهي تعكس تأثر الهوية الأرمنية بتعايشها عبر الزمان والمكان، كما تعكس تمدداً نسبياً للهوية الأرمنية إزاء الهوية العامة للمجتمع الأردني، وهذه النتيجة تتفق مع ما توصلت إليه دراسة ديركرابديان، حيث أظهرت أن (28) زوجة ضمن (293) أسرة أرمنية هن عربيات، و(22) من أمهات الأزواج عربيات و(34) من الأزواج يوافقون على زواج أبنائهم الذكور من غير الأرمنيات، وأن (24) من (213) لا يعرفون اللغة الأرمنية قراءة وكتابة، و(106) يستخدمون الأرمنية والعربية، و(17) فقط يستخدمون العربية. علماً بأن عينة الدراسة هي الآباء (الزوج والزوج) وليس الأبناء، وكشفت الدراسة بان (84) يعتبرون هويتهم أردني ارمني بينما (56) ارمني أردني، و(14) أردني. بينما من يعتبرون أنفسهم أرمن فقط عددهم (5).

جدول (4)

إعادة إنتاج الهوية الإثنية لدى الدروز (العينة الجزئية 64)

الرقم	المجـال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة	الأهمية النسبية
1	**إدراك المرجعية الاثنية**	3.43	0.45	4	مرتفعة	%0.86
2	**التنشئة الاثنية**	3.54	0.51	3	مرتفعة	%0.89
3	**العلاقات الاثنية**	3.30	0.39	5	مرتفعة	%0.83
4	**محفزات الفاعل الأثني**	3.69	0.53	2	مرتفعة	%0.92
5	**اللغة الاثنية**	3.87	0.29	1	مرتفعة	%0.97
	الأداة ككل	**3.54**	**0.38**	-	**مرتفعة**	–

يظهر من الجدول بأن المتوسط الحسابي العام بلغ (3.54) وبدرجة تقييم مرتفعة، ويلاحظ بأن جميع آليات إعادة إنتاج الهوية الإثنية جاءت مرتفعة بما في ذلك اللغة الإثنية والعلاقات الإثنية وإن إختلفت رتبها. والحقيقة أن الأقلية الدرزية لا تمتلك لغة إثنية حيث أن لغتهم هي العربية بينما لديهم لهجة مختلفة تميزهم من خلال إظهار حرف القاف بشكل مكثف في الخطاب. إن هذه اللهجة تعبر عن تميز في النطق أكثر مما تعبر عن تميز ثقافي. أما بالنسبة للعلاقات الاجتماعية فقد جاء متوسطها مرتفعاً وبدرجة تقييم مرتفعة، علماً بأنها في المرتبة الخامسة، وقد تعود هذه النتيجة إلى أن الدروز يتجاورون مكانياً في سياق جغرافي يجمعهم ويعرف بهم ويعرفون به- وقد جُمعت معظم العينة منه- وهو منطقة الأزرق، الأمر الذي ولد عندهم مستويات مرتفعة من الارتباط العلائقي والزواجي، وقد أكدت الدراسات السابقة أهمية التقارب المكاني لأعضاء الأقلية في تأطير حدود هويتها الاثنية. (Farand and Nolle:2011)

جدول (5)

إعادة إنتاج الهوية الإثنية لدى الأكراد (العينة الجزئية 83)

الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة	الأهمية النسبية
1	**إدراك المرجعية الاثنية**	3.01	0.30	3	مرتفعة	%0.75
2	**التنشئة الاثنية**	3.28	0.30	2	مرتفعة	%0.82
3	**العلاقات الاثنية**	2.61	0.39	4	متوسطة	%0.65
4	**محفزات الفاعل الأثني**	3.39	0.36	1	مرتفعة	%0.85
5	**اللغة الاثنية**	2.23	0.90	5	متوسطة	%0.56
	الأداة ككل	**2.92**	**0.25**	-	**متوسطة**	–

يتضح من الجدول أن المتوسط الحسابي الكلي بلغ (2.92) بدرجة تقييم متوسطة، كما يظهر أن اللغة حظيت بدرجة متوسطة وجاءت في المرتبة الخامسة، وكذلك جاءت العلاقات الإثنية في المرتبة الرابعة وبدرجة تقييم متوسطة. إن هذه النتيجة لا تنفصل عن واقع الأكراد في المجتمع الأردني فهم ينتشرون عائلات وعشائر في معظم بلدات وقرى ولمحافظات الأردن من اربد شمالاً إلى العقبة جنوباً، كما أنهم من الأقليات ذات الوجود العميق قي تاريخ المجتمع الأردني الذي يمتد إلى ما قبل تأسيس إمارة شرقي الأردن عام 1921(انظر، الكردي: 2004: 70–72)، إن ضعف التواصل والتشتت الوجودي عبر الزمان والمكان، جعل الأكراد الأردنيون أكثر اندماجاً في المجتمع الأردني، واقل تماسكاً وفق مرجعيتهم الإثنية، ورغم ذلك هناك مستوى متوسط من إعادة إنتاج الهوية الإثنية لدى الأكراد.

جدول (6)

إعادة إنتاج الهوية الإثنية لدى الشركس (العينة الجزئية 148)

الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة	الأهمية النسبية
1	**إدراك المرجعية الاثنية**	3.30	0.41	2	مرتفعة	%0.81
2	**التنشئة الاثنية**	3.20	0.44	3	مرتفعة	%0.80
3	**العلاقات الاثنية**	2.91	0.59	4	متوسطة	%0.73
4	**محفزات الفاعل الأثني**	3.39	0.43	1	مرتفعة	%0.85
5	**اللغة الاثنية**	2.56	0.79	5	متوسطة	%0.64
	الأداة ككل	**3.09**	**0.39**	-	**مرتفعة**	–

يظهر من الجدول أن المتوسط الحسابي الكلي (3.09) بدرجة تقييم مرتفعة، وجاءت اللغة في المرتبة الخامسة بدرجة تقييم متوسطة، وتلتها العلاقات الإثنية في المرتبة الرابعة بدرجة تقييم متوسطة، وتجدر الإشارة إلى أن الشركس من الأقليات ذات الوجود التاريخي العميق في الأردن، حيث يمتد وجودهم إلى مرحلة ما قبل تأسيس الإمارة بما يقارب الأربعين

عاماً، وهم ينتشرون في أكثر من مكان، لكنهم يتواصلون ويتضامنون وتعتبر الجمعية الخيرية الشركسية في عمان مظلة لتماسكهم وتضامنهم. وهم يحافظون على تراثهم ويحيون مناسباتهم وينظمون زيارات متبادلة لموطنهم الأصل، لكن بالمقابل، كما يظهر من النتيجة المتعلقة باللغة والعلاقات الإثنية، هناك ضعف نسبي في استخدام اللغة الإثنية، كما أن هناك انفتاحاً في بنية العلاقات الإثنية وهذه النتيجة تتفق مع ما توصلت إليه الدراسات التي أجراها الشراكسة أنفسهم بهذا الخصوص. فقد أظهرت دراسة محمد وردم أن 50-40% من الأسر الشابة الجديدة لم تعد اللغة الشركسية فيها اللغة الأم، وكشفت دراسة مامسر أن 92% من أفراد العينة التي خضعت للدراسة والذين تقل أعمارهم عن 35 سنة لا يستخدمون اللغة الشركسية ولا يفهمونها. (موثق في مامسر: ج1: 2009)

جدول (7)

إعادة إنتاج الهوية الإثنية لدى الشيشان (العينة الجزئية 119)

الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	الدرجة	الأهمية النسبية
1	**إدراك المرجعية الاثنية**	3.09	0.35	2	مرتفعة	%0.77
2	**التنشئة الاثنية**	3.09	0.36	2	مرتفعة	%0.77
3	**العلاقات الاثنية**	2.62	0.65	5	متوسطة	%0.66
4	**محفزات الفاعل الاثني**	3.26	0.46	1	مرتفعة	%0.82
5	**اللغة الاثنية**	2.80	0.62	4	متوسطة	%0.70
	الأداة ككل	**2.97**	**0.36**	-	**متوسطة**	-

يتضح من الجدول أن المتوسط الحسابي الكلي بلغ (2.97) بدرجة تقييم متوسطة، وكما هو الحال بالنسبة للشركس فان الآليتين الأضعف في إعادة إنتاج الهوية الإثنية هما على التوالي العلاقات الإثنية، واللغة الإثنية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن كل من التنشئة الإثنية، وإدراك المرجعية الإثنية جاءت في المرتبة الثانية. والحقيقة أن ما ينطبق على الشراكسة ينطبق على الشيشان إلى حد بعيد، وان كان عدد الشراكسة يفوق عدد الشيشان بكثير، إلا أن لهما مجلس عشائري واحد، والصلات بينهما قوية، وتتبعان الآليات ذاتها في إعادة إنتاج الهوية الإثنية من حيث إنشاء المراكز والنوادي والجمعيات والفرق الفلكلورية. وارتفاع مستوى الزواج الداخلي. (انظر: البشايرة : 1999).

جدول (8)

الفروقات بين الأقليات الإثنية في إعادة إنتاج الهوية الاثنية

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "f"	الدلالة الإحصائية
إدراك المرجعية الاثنية	بين المجموعات	10.017	4	2.504	18.086	0.00
	خلال المجموعات	67.987	491	0.138		
	الكلي	78.005	495			
التنشئة الاثنية	بين المجموعات	8.818	4	2.205	12.596	0.00

	خلال المجموعات	85.936	491	0.175		
	الكلي	94.754	495			
العلاقات الاثنية	بين المجموعات	25.022	4	6.256	19.832	0.00
	خلال المجموعات	154.875	491	0.315		
	الكلي	179.898	495			
محفزات الفاعل الاثني	بين المجموعات	8.326	4	2.082	11.422	0.00
	خلال المجموعات	89.478	491	0.182		
	الكلي	97.804	495			
اللغة الاثنية	بين المجموعات	109.486	4	27.372	53.563	0.00
	خلال المجموعات	250.911	491	0.511		
	الكلي	360.397	495			
الأداة ككل	بين المجموعات	17.657	4	4.414	34.813	0.00
	خلال المجموعات	62.259	491	0.127		
	الكلي	79.916	495			

يظهر من الجدول (8) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α≥ 0,.5) بين الأقليات الإثنية وفي جميع آليات إعادة الإنتاج، ولمعرفة مواقع الفروق تم تطبيق اختبار شيفيه (Scheffe) للمقارنات البعدية على جميع آليات إعادة الإنتاج تبعاً لمتغير الأقلية الإثنية، وقد تبين أن الفروقات لصالح الأقلية الدرزية. والجدول (9) يوضح ذلك.

جدول (9)

نتائج اختبار (Scheffe) للكشف عن مواقع الفروق في آليات إعادة إنتاج الهوية الإثنية تبعاً لمتغير الأقلية الاثنية

إدراك المرجعية الاثنية	المتوسط الحسابي	الأرمن	الدروز	الأكراد	الشركس	الشيشان
الأرمن	3.29	–	−0.14	0.28	−0.01	0.2
الدروز	3.43		–	**0.42***	0.13	0.34
الأكراد	3.01			–	−0.29	−0.08
الشركس	3.30				–	0.21
الشيشان	3.09					–
التنشئة الاثنية	**المتوسط الحسابي**	**الأرمن**	**الدروز**	**الأكراد**	**الشركس**	**الشيشان**
الأرمن	3.20	–	−0.34	−0.08	0.00	−0.11
الدروز	3.54		–	0.26	0.34	**0.45***
الأكراد	3.28			–	0.08	0.19
الشركس	3.20				–	−0.09
الشيشان	3.09					–

العلاقات الإثنية	المتوسط الحسابي	الأرمن	الدروز	الأكراد	الشركس	الشيشان
الأرمن	2.92	–	–0.38	0.31	0.01	0.3
الدروز	3.30		–	**0.69***	0.39	0.68
الأكراد	2.61			–	–0.3	–0.01
الشركس	2.91				–	0.29
الشيشان	2.62					–
محفزات الفاعل الاثني	**المتوسط الحسابي**	**الأرمن**	**الدروز**	**الأكراد**	**الشركس**	**الشيشان**
الأرمن	3.49	–	–0.2	0.1	0.1	0.23
الدروز	3.69		–	0.3	0.3	**0.43***
الأكراد	3.39			–	0.00	0.13
الشركس	3.39				–	0.13
الشيشان	3.26					–
اللغة الاثنية	**المتوسط الحسابي**	**الأرمن**	**الدروز**	**الأكراد**	**الشركس**	**الشيشان**
الأرمن	2.93	–	–0.94	0.7	0.37	0.13
الدروز	3.87		–	**1.64***	1.31	1.07
الأكراد	2.23			–	–0.33	–0.57
الشركس	2.56				–	–0.24
الشيشان	2.80					–
الأداة ككل	**المتوسط الحسابي**	**الأرمن**	**الدروز**	**الأكراد**	**الشركس**	**الشيشان**
الأرمن	3.17	–	–0.37	0.25	0.08	0.2
الدروز	3.54		–	**0.62***	0.45	0.57
الأكراد	2.92			–	–0.17	–0.05
الشركس	3.09				–	0.12
الشيشان	2.97					–

خاتمة واستنتاجات عامة

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عما إذا كانت الأقليات الإثنية في المجتمع الأردني تعيد إنتاج هويتها الإثنية، وقد تفرع عن هذا الهدف العام ثلاث تساؤلات فرعية : اولاً، هل ما تزال الأقليات الإثنية تعيد إنتاج هويتها وتحافظ عليها؟ ثانياً: ما الآليات الأضعف في إعادة إنتاج الهوية الاثنية؟. ثالثاً: هل هناك فروق بين الأقليات في إعادة إنتاج الهوية الاثنية؟ لقد اشتملت عينة الدراسة على (496) شاباً وشابة تقع أعمارهم بين (20–25) عام، ويمثلون الجيل الأخير الذي تصب فيه النتائج النهائية لعملية إعادة إنتاج الهوية الإثنية في كل أقلية من الأقليات التي مثلت اطاراً لعينة الدراسة. وهي: الشركس، والشيشان، والأرمن، والدروز، والأكراد.

وقد أظهرت النتائج (ذات الطبيعة الوصفية) أن الأقليات الإثنية في المجتمع الأردني لا تزال تحتفظ بهويتها الإثنية على نحو واضح وقوي. كما تبين أن التغيرات التي طرأت على عملية إعادة أنتاج الهوية الإثنية لدى جميع الأقليات كانت ضمن اللغة، والعلاقات الاجتماعية، وكانت هناك فروقات بين الأقليات في إعادة إنتاج الهوية الاثنية. حيث

كانت أعلاها الأقلية الدرزية ومن ثم على التوالي، الأرمن، والشركس، والشيشان، والأكراد.

وفي ضوء النتائج السابقة، يمكن تقديم الاستنتاجات التالية:

أولاً: على الرغم من أن السياق المجتمعي العام متسامح إزاء الأقليات الإثنية ويتقبلها، وأن المجتمع الأردني قد نمى مؤسسياً وبيروقراطياً، إلا أن الأقليات الإثنية لا تزال تعيد إنتاج هويتها الإثنية، وهذه النتيجة تخالف المقولات التي تؤكد على انه كلما زاد التحديث واتجه المجتمع من القرابية إلى المؤسسية، ومن البنى الممتدة إلى الفردية، يؤدي ذلك إلى اضمحلال الانتماءات الإثنية، وفي الحقيقة قد تعود هذه المفارقة إلى أن المجتمع الأردني لا يزال يحتضن البنى العشائرية التقليدية تحت المظهر المؤسسي والبنى العقلانية، وفي سياق هذه التركيبة الاجتماعية التي تحتل فيها العشيرة وزناً كبيراً وبشكل خاص في العلاقة مع الدولة والبنى الاجتماعية الأخرى، فإن الأقليات الإثنية تعيد إنتاج ذاتها وهويتها الإثنية كوحدات قرابية عشائرية، إزاء العشائر الأخرى في المجتمع، الأمر الذي يمنحها وزناً، واعتباراً، واعترافاً من قبل المجتمع والدولة.

ثانياً: إن آليات إعادة إنتاج الهوية الإثنية التي تتعلق بالبعد الداخلي للأقليات الإثنية جاءت متوسطاتها مرتفعة (محفزات الفاعل الإثني، والتنشئة الإثنية، وإدراك المرجعية الاثنية). بينما آليات إعادة الإنتاج التي تتعلق بالبعد الخارجي للأقلية الإثنية (اللغة، والعلاقات الاثنية) جاءت متوسطاتها متوسطة، وهذا يعني أن اللغة الإثنية، قد تراجعت تراجعاً نسبياً وحلت مكانها اللغة العربية نسبياً، وكذلك الأمر بالنسبة للعلاقات الإثنية حيث هناك تحول نسبي من الانغلاق إلى الانفتاح على مستوى الصداقات، والزملاء، والمعارف، والزواج. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن اللغة تعتبر حاملة للثقافة Carrier of Culture تجسدها، وتمثل رمزاً وإطاراً عملياً لها وأن العلاقات الاجتماعية تدعم التثاقف بين الأقليات، والمجتمع العام، فإنه على مدى جيلين قادمين قد تخلو عملية إعادة الإنتاج من أي تميز ثقافي، أو ممارسة ثقافية. وتتحول الهوية الإثنية إلى أصل مشترك وموطن أصل مشترك. خاصة وان المجتمع الأردني ذاته قد شهد بداية التفكك القبلي والعشائري. إن تحول الهوية الإثنية إلى مجرد أصل مشترك ليست مسالة حتمية، ولكن يتوقف على بقاء الوضع الراهن كما هو بحيث لا تتخذ الأقليات أية استراتيجيات مضادة لعملية اضمحلال الهوية الإثنية بحيث تنهض باللغة من جديد وتكثف العلاقات الداخلية، كما فعل الشركس عام 1952 عندما أقروا وثيقة الزواج التي حددت المهر بـ (150) ديناراً اردنياً لوقف الزواج الخارجي وتكريس الزواج الداخلي.

ثالثاً: وهكذا، على الرغم من أن الدراسة الراهنة تشتق آليات إعادة الإنتاج من نظرية التشكيل وتطبقها، إلا أن النتائج التي تمحضت عنها تطرح تساؤلات نقدية بالغة الأهمية على نظرية التشكيل. مثلاً، ما الشروط الإجتماعية اللازمة لإدامة عملية إعادة الإنتاج؟ وما الشروط التي تعمل على كسر الحلقة المفرغة لإعادة الإنتاج؟ إن الإجابة على هذه التساؤلات تجعل نظرية التشكيل أكثر رصانة، وأكثر مقدرة على تفسير التغيرات الاجتماعية التي تطرأ على البنى الاجتماعية، والإزاحة التي تتعرض لها عملية إعادة الإنتاج عندما يحور الفاعلون بعض عناصر البنية ويعدلونها.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

أبو الشعر، هند، (2001)، **شرقي الأردن في العهد العثماني 1516-1918**، ط1، منشورات اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، عمان.

أَبو حمدان، تيسير، (2003)، **بنو معروف في واحة بني هاشم**، ط1. عمان. أزمنة للنشر والتوزيع.

البشايرة، راتب محمود، (1994)، **الشيشانيون الأردنيون، دراسة جغرافية بشرية، واقتصادية**، اربد،الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع.

جوبسر، بيتر، (د. ت)، الأردن مفترق الطرق لأحداث الشرق

الأوسط، عمان، مركز الأردن الجديد.

خمش، مجد الدين، (1998)، **عوامل التنمية والتحديث وأثرها على الشركس في المجتمع الأردني:** ورقة مقدمة لمؤتمر التاريخ الاجتماعي مركز الأردن الجديد للدراسات، وكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، عمان، الجامعة الأردنية.

ديركرابديان، آردا فريج، (2005)، **الأرمن الأردنيون: الواقع الاجتماعي والهوية**، منشورات البنك الأهلي الأردني، سلسلة دراسات (5).

العجارمة، نوفان، (2013)، **تمثيل الأقليات في الحكومات الأردنية**، صحيفة الرأي. 4/8.

العظم، عبد الله، (2014)، النائب الأعور: الأقليات في الأردن بحاجة إلى حقوق ومناصب سياسية، **الشاهد**، الخميس 2/27.

الكردي، محمد علي صويركي، (2004)، **الأكراد الأردنيون ودورهم في بناء الأردن الحديث مع لمحات عن أكراد سوريا**، لبنان، فلسطين، عمان، دار سندباد.

مامسر، محمد خير، (2009)، **الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية**. المجلد الخامس، عمان، دار وائل.

ناشخو، جودت حلمي، (1995)، **تاريخ الشركس (الأديغة)، والشيشان في لوائي حوران والبلقاء 1878-1950**، منشورات لجنة تاريخ الأردن.

المراجع الأجنبية

Elsie J. Smith. 1991. Ethnic Identify development: Toward the development of a theory within the Context of majority status, ***Journal of Counseling and Development***, vol.20.

Evergeti, Venetia. 2006. Living and Caring Between two Cultures: Narratives of Greek women in Britain, ***Community Work and Family***, 9 (3): 347-366.

Faranda, Regina and David B. Nolle. 2011. Boundaries of Ethnic Identity in central Asia: Titular and Russia perceptions of ethnic commonalities in Kazakhstan and Kyrgyzan, ***Ethnic and Racial Studies***, 34 (4): 620-642.

Fausto Barlocco. 2013. Consuming Ethnic Identities: Materializing the Nation and the Minority in sabah, ***Journal of Social Issues in South East Asia***, 28 (3).

Giddens, A. 1979. New Rules of sociological method. London, Hutchinson.

Gordon, Milton. 1964. Assimilation in American life : The Role of Race, Religion and National origin. New York: oxford university press.

Gorza-Benavides. 2003. Angelica Melissa. Factor analysis of the Mexican Ethnic Identity Scale, proQuest Information and Learning company Uni Micro from 3107-380.

Holly, Castle, EVE Knight and Camilla Waters. 2011.

Alba, Richard D. 1990. Ethnic Identity: The Transformation of white America, New York CT: Yale University press.

Archer, M. 1988. Culture and Agency: The place of Culture, in social theory, Cambridge. England, Cambridge University.

Archer, M. 1995. Realist social Theory: The Morphogenetic approch. Combridge, England: Cambridge University.

Evine, B. 1999. Reconstructing Ethnicity J.Roy. anthrop. Inst . (N.S). 5. 165-180.

Bernal, M.E. and knight G.B. (Eds). 1993. Ethnic I identity; Stale university of New York Press.

Bourdieu and Passeron J.C. (1990). Reproduction in Education, Society and Culture. London, Sage.

Burgess, M. 1978. The Reemergence of Ethnicity, ***Ethic and Social Studies***, Vol.1.

Chavez. A. and Guide – DiBrito, F. 1999. Racial and Ethnic identity and development. In M.C Clark and R.S. Caffarella (Eds) An update on Adult Development theory: New ways of Thinking About the Life Course p.p .(39-47) San Fran Cisco Jossey–Bass.

David B. Brinkerhoff and Lynn K. white. 1988. Sociology. 2nd Edition, West Publishing Company.

Ethnic Identity as a protective Factor for Looked After and Adopted Children from Ethnic Minority Groups: ***A Critical Review of the Literature Adoption Quarterly***, 14: 305-325.

Lai, Daniel W.L. 2012. Ethnic identity of older Chinese in Canada, ***Jcross cult Gerontol***, 27: 103-117.

Lawrence T. Dong. 2003. Ethnic, Identity Formation in southeast and East Asian Young Offenders, proQust. Information and Lerning.VML.Microform 308295.

Lisa Kiang. 2004. Ethnic Identity In Chinese Americans, A Relational approach and perspectives on acculturalation, proQust Information and learning, Microform 3138963.

Melania M.Voutsinas. 2012. Ehnic Identity In second Generation Immigrants: An Examination of parentintig styles and self-esteem.proQuet. LLC. UMI3532355.

Phinney, J.S., Dumont, S., Eplsilon, C., Revile, J. and Sanders, K. 1994. Ethnic Identity and American Identification among Stannic minority youths In A. Bounty. J.R. Van do v. Jverpo Boski and P. Schnitzel (Eds) Journeys into Cross Cultural Psychology (PP167-183) Lisse swets and Zeirlinger.

Smajda Jon and Joseph Gentries. 2012. Ethnic Community and Ethnic Boundaries in a Sauce-Scented Neighborhood Sociological from 27 (3).

Tsai Shufong. 2006. Ethnic Identity Development of Second Generation Taiwanese Americans. proQuest information and learning company UMI microform 3200124.

The Reproduction of Ethnic Identity in Jordanian Society: An Implementation of Structuration Theory

Mohamad A. Al-Horani*

ABSTRACT

This study aims at revealing whether ethnic minorities in Jordan are still reproducing their ethnic identity. The study focuses on five mechanisms of ethnic identity reproduction which were derived from Anthony Giddens's structuration theory: The recognition of ethnicity as frame of reference, Ethnic Socialization, Ethnic Relationships, Motivations of Ethnic Agent, and Ethnic Language. The sample of the study included (496) young males and females at the age of (20-25) years old who belong to five ethnic minorities: Circassians, Chechens, Armenians, Druze, and Kurds.

The results showed that ethnic minorities in Jordanian society are still reproducing their ethnic identity obviously, but some mechanisms of the reproduction, specifically, the language and the relationships were declined comparison with the other mechanisms of reproduction. In addition, the results showed that there are minor differences among the minorities in the Ethnic identity reproduction ; the Druze minority occupied the highest level of the of ethnic identity reproduction, followed by, Armenians, Circassians, Chechens, and in the lowest level, the Kurds.

Keywords: Ethnic minority, Ethnic Identity, Reproduction.

* Associate Professor, Department of Social Sciences and Social Services, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Received on 9/7/2014 and Accepted for Publication on 5/3/2015.